الفصل الثالث

١ ـ حال مكة بعد بدر

٢ ـ غزوة بنى قينقاع

٣ ـ قريش تضع خطة لقتل حمزة

٤ ـ غزوة أحد

٥ ـ الاستعداد للقتال

٦ ـ بدء القتال

٧ ـ استشهاد حمزة

٨ ـ التمثيل بجثة حمزة

حال مكة بعد بدر

كان أول من قدم مكة بعد بدر الجيسمان بن عبد الله الخزاعى فقالوا : ما وراءك قال قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبه ابن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأميه بن خلف واخذ يعدد القتلى وكان صفوان بن أميه جالسا فى الحجر فقال إن يعقل هذا فاسألوه عنى فسألوه عن صفوان بن أميه فقال ها هو ذاك يجلس فى الحجر والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا لم تكن قريش تصدق ما حدث حينما جاءها الخبر بان أشرافها وفرسانها قتلوا على أيدى المسلمين وأراد أبو لهب أن يستيقن من الأخبار التى وصلت إلى مكة فرأى أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وكان فى جيش قريش الذى حارب المسلمين فى بدر فسأله فقال : والله ما هو إلا لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا يأسروننا كيف شاءوا وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض والله لا تبقى شيئا ولا يقف لها شئ .

كانت هذه الأخبار قد سبقت عودة جيش قريش من بدر فانتاب القلق بيوت قريش التى خرج منها رجال للحرب فى بدر فالأخبار التى وصلت من أكثر من مصدر تقول أن سادة قريش ما بين قتيل وأسير وفار .

عاد جيش قريش المنهزم وبدأ من عاد يحكى عما حدث فى بدر وعن عدد القتلى الذين قتلهم حمزة بن عبد المطلب وكيف فعل الأفاعيل بجيش قريش كما تحدث العائدون عما فعله على بن أبى طالب أيضا بجيش قريش ولم يصبح بيت فى قريش إلا وله عند حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب ثأر واجتاحت قريش نيران الحقد على حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب ولم يكن ليطفئ هذه النيران سوى قتل أحد الفارسين وأجمعت قريش على أن هدفها من قتالها القادم أن تقتل احد الرجلين . ولكن كيف يتم قتل حمزة ؟

فحمزة بن عبد المطلب كما تعلم العرب هو الفارس الجسور والذى لا يجرؤ أحد على مواجهته ومن جازف ولقيه فى قتال فإنه مقتول لا محالة . الأمر إذن يحتاج إلى خطة للإيقاع به فلا يمكن قتله فى مبارزة شريفة وإنما قتله

يحتاج إلى المكر والخديعة ومضت قريش تقضى الأيام والليالى فى تدبير خطة لقتل أسد الله ورسوله .

كان هذا هو حال قريش بعد بدر فكانت فى بادئ الأمر تأبى أن تصدق ما حدث لها وتكذب الأخبار التى تصل إلى أن حلت مصيبتهم بين أيديهم بعودة الجيش المنهزم وعلمهم بمن قتل ومن وقع فى الأسر فكان نواح قريش على قتلاها ثم قال أناس من قريش لا تنوحوا على القتلى فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم ولا تبعثوا فى أسراكم إلا بعد مدة من الزمن حتى لا يغالى محمد فى الفداء.

ولربما كانت هذه النصائح من أناس لم يصبهم سوء فى بدر لأنهم لم يخرجوا إلى بدر من الأساس أو كانوا من الفارين من القتال أما من أصيب من قريش فى بدر فأخذ يتدبر أمر مصيبته فمن كان له أسير عند رسول الله ﷺ سعى فى طلب أسيره وجمع قريش قاسما مشتركا واحدًا بعد بدر هو تدبير خطة للنيل من حمزة بن عبد المطلب الذى فعل بهم الأفاعيل فى بدر .

غزوة بنى قينقاع

كانت فى شوال فى السنه الثانية من هجرة رسول الله ﷺ أما عن بنى قينقاع فإنهم قوم من اليهود كانوا حلفاء لعبد الله بن أبى بن سلول وكانوا يعملون بتجارة الذهب ولما دخل رسول الله ﷺ المدينة أبرموا اتفاقا معه على التعايش فى سلام وألا يساعدوا أحدا عليه وقد أمنهم رسول الله ﷺ على أنفسهم وأولادهم وأموالهم إلا أنهم بعد غزوة بدر أظهروا الحقد والحسد والخيانة

فأنزل الله فى حقهم قوله تعالى :

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الأنفال:٥٨)

فقال رسول الله ﷺ أنا أخاف بنى قينقاع فسار إليهم رسول الله ﷺ بهذه الآية .

ويذكر بعض الرواة أن سبب هذه الغزوة أن إمرأة من الأنصار ذهبت إلى سوق بنى قينقاع فأخذ تجار بنى قينقاع يراودونها على كشف وجهها فأبت فعمد صائغ من بنى قينقاع إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت مستغيثة بالمسلمين فوثب رجل من المسلمين وقتل الصائغ فتكاثر يهود بنى قينقاع على المسلم فقتلوه فاستنجد أهل القتيل بالمسلمين على

اليهود فقال رسول الله ﷺ ما على هذا أقررناهم . فصار إليهم.

لقد دأب اليهود على الخيانة فلما كانت واقعة السيدة المسلمة وتعرض يهود بنى قينقاع لها ولما كان رسول الله ﷺ يخشى من خيانتهم فقد جاء الأمر الإلهى لرسول الله ﷺ أن يخرج إلى يهود بنى قينقاع وقد خرج إليهم رسول الله ﷺ وقد حمل حمزة بن عبد المطلب لواء رسول الله ﷺ وتحصن يهود بنى قينقاع بحصونهم فحاصرهم رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة حتى استسلموا ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ وقد كان حكم رسول الله ﷺ أن أموالهم للمسلمين وأن لهم النساء والذرية . وقد أمر رسول الله ﷺ بهم فكتفوا وقد تشفع لهم عند رسول الله ﷺ عبد الله بن سلول فأمر رسول الله ﷺ بتركهم على أن يجلوا عن المدينة وقد تولى الإشراف على إخراجهم عبادة ابن الصامت .

خرج يهود بنى قينقاع من المدينة واتجهوا إلى منطقة تسمى أزرعات وهى على مقربه من دمشق ولقد توالى بعد ذلك إخراج اليهود من مدينة رسول الله ﷺ لما أثاروه من فتن ولخيانتهم لجميع العهود التى أبرموها مع رسول الله ﷺ ولقد ذكرنا هنا هذه الغزوة لما كان لحمزة بن عبد المطلب فيها من دور فقد كان يحمل لواء رسول الله ﷺ فى هذه الغزوة .

قريش تضع خطه لقتل حمزة وعلى

لما أصاب المشركون ما أصابهم فى بدر وعادوا إلى مكة وحكوا ما حدث لهم وبعد موت سادة قريش أصبح أبو سفيان بن حرب هو كبير قريش وسيدها وأقسم أبو سفيان ألا يغتسل وألا يتطيب حتى يثأر من المسلمين لقتلى بدر فلما طال به الأمد وأصيب بالجرب خرج كى ينال من أى مسلم حتى يبر بقسمه فخرج فى ذى الحجة فى مائتي راكب من قريش وأغار على أطراف المدينة فقتل رجلا من الأنصار وأجيرا كان يعمل عنده وبلغ الخبر لرسول الله ﷺ فخرج يتعقبه وفر أبو سفيان ومن معه وجد رسول الله ﷺ فى أثره فأخذ أبو سفيان ومن معه يتخففون من كل شئ معهم حتى لا يدركهم المسلمون حتى أنهم تخففوا من جرب السويق أو من الجرب التى تحتوى على زادهم ولهذا سميت هذه الغزوة من غزوات رسول الله ﷺ غزوة السويق .

لم تكن قريش تقصد هذا الثأر الذى سعى إليه أبو سفيان بن حرب بل إن ما أتاه أبو سفيان بن حرب فى عرف العرب هو نوع من الخسة والخيانة فقد قتل رجلا

اعزلا وأجيرا عنده وظن بهذا أنه بر بقسمه بألا يمسس جسده ماء أو طيب حتى يثأر من المسلمين .

كانت قريش فى منتدياتها لا حديث لها إلا أن تنال من حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب فحمزة عم رسول الله ﷺ وفعل بهم الأفاعيل فى بدر وعلى ابن أبى طالب ابن عم رسول الله ﷺ وقتل سادة قريش أيضا فى بدر.

لم يكن غير قتل حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب يشفى صدور الحقد فى قريش ولما كان حمزة بن عبد المطلب هو الفارس الذى تعرف قريش قدره فمن الذى يستطيع أن يتصدى له فى قتال أو ينال منه فى مبارزة لقد تفتق ذهن قريش عن خطة دنيئة لقتل حمزة بن عبد المطلب اشترك فيها سادة قريش وكبرائها فقد اتفق جبير بن مطعم ابن عدى مع عبد له من الحبشة يسمى وحشى بن حرب كانت حربته لا تخطئ هدفها على أن يقتل حمزة ابن عبد المطلب وفى مقابل هذا ينال حريته فتدرب هذا العبد شهورا حتى إذا ما التقى المسلمون والمشركون فى قتال يكمن لحمزة حتى ينال منه وقد اشتركت هند بنت عتبة

زوج أبى سفيان بن حرب فى وضع هذه الخطة ووعدت العبد بالمال إذا قتل حمزة .

لأنها كما قالت فإن حمزة قد قتل عائلتها فى بدر فلقد قتل حمزة فى بدر عم هند شيبه بن ربيعة وشارك فى قتل أبيها عتبة بن ربيعة كما أن على بن أبى طالب قتل أخاها وشارك فى قتل أبيها . كانت هند بنت عتبة تحمل حقدا على حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب لا يدانيه أى حقد فقد صورت لها الشياطين أن حمزة وعلى بن أبى طالب سبب ما حل بأهلها من قتل ولقد دفعها هذا الحقد إلى أن تخرج مع المشركين فى غزوة أحد لتشد من أزرهم وتشرف بنفسها على تنفيذ الخطة التى وضعتها هى وسادة قريش لقتل حمزة ولتطالب من ينسحب من المشركين من القتال بالثأر لقتلاهم فى بدر ولعل ما فعلته فى حمزة من تمثيل بجثته بعد قتله فى أحد ما يبين قدر الغل والحقد والكراهية التى كانت تملأ صدرها لم تكن خطة الخيانة التى وضعتها قريش لقتل حمزة مما تعارف عليه العرب ولم يكن التمثيل بالقتلى أيضا مما تعارف عليه العرب وها هى قريش تخرج عن عادات وتقاليد العرب فى القتال وتعترف بالخيانة لتنال ثأرها وتعترف بالتمثيل بالقتلى لكى تشفى صدورها من الحقد على حمزة بن عبد المطلب .

غزوة أحد

لما عاد أبو سفيان بن حرب بعير قريش وعادت قريش إلى مكة بعد غزوة بدر فقد مشى عبد الله بن أبى ربيعه ، وعكرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أميه فى قريش وذهبوا إلى كل من له مال فى العير وقالوا لهم لقد قتل محمد خياركم وإخوانكم وأبنائكم فأعينونا بهذا المال لعلنا ندرك منه ثأرنا ففعلت قريش

وسعت قريش فى العرب يحرضونهم على قتال رسول الله ﷺ فاستجاب لهم من بنى كنانة بنى مالك واستجابت لهم تهامة .

وخرجت قريش ومن تابعها من العرب لقتال المسلمين وكان هذا فى السنه الثالثة من هجرة رسول الله ﷺ فى شهر شوال وكان عدد جيش المشركين ومن تابعهم من العرب ثلاثة ألاف وخرج أبو عامر الفاسق مع قريش فى خمسين رجلا من قومه ولقد اصطحبت قريش معها فى هذه الغزوة نسائها ليثرن حماستهم فى القتال ضد المسلمين فقد اصطحب أبو سفيان بن حرب وهو قائد جيش المشركين

زوجته هند بنت عتبه وخرج عكرمة بن أبى جهل ومعه زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام وخرج صفوان بن أميه ومعه زوجته برزة بنت مسعود الثقفية ونساء كثيرات خرجن مع جيش المشركين فى هذه الغزوة .

علم رسول الله ﷺ بخروج قريش لقتاله فاستشار أصحابه فى الخروج فكان رأى أصحاب رسول الله بعدم الخروج والبقاء فى المدينة وملاقاة المشركين فى المدينة وقد كان هذا الراى هو أيضا رأى رسول الله ﷺ إلا أن بعض المسلمين ممن لم يحضروا بدرا قالوا يا رسول الله نخرج لنلاقى عدونا حتى لا يظن أننا جبنا عن ملاقاتهم فما زال هؤلاء يعرضون على رسول الله ﷺ الخروج حتى دخل رسول الله بيته ولبس درعه فأحس الناس أنهم أكرهوا رسول الله على الخروج فطلبوا منه ألا يخرج فقال لهم ما كان لنبى أن يلبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل فخرج رسول الله ﷺ لملاقاة المشركين فى ألف من رجاله .

وصل الجيشان إلى جبل أحد ولما كان رأس المنافقين عبد الله بن سلول قد خرج مع رسول الله فعندما رأى جيش قريش تخاذل وانسحب وتبعه ثلاثمائة من المنافقين وبقى سبعمائة من المسلمين تحت قيادة رسول الله ﷺ لقد أراد الله

تعالى ألا يكون فى جيش رسول الله ﷺ منافق وبقى فى جيش رسول الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

كان رسول الله ﷺ قد رد من خرج من اليهود ليحارب معه وهم حلفاء عبد الله بن سلول وقال : "لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك " عقد رسول الله ﷺ الألوية فكان لواء الأوس مع أسيد بن حضير وكان لواء الخزرج مع الحباب بن المنذر وكان لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير .

الاستعداد للقتال

بعد انسحاب عبد الله بن سلول ومن معه بقى رسول الله ﷺ فى سبعمائة من أصحابه وبدأ رسول الله ﷺ يجهز الجيش للقتال فجعل ظهر الجيش إلى جبل أحد حتى يحمى ظهورهم لأن عددهم أقل من المشركين وجعل على جبل عينين وهو أحد جبال أحد خمسين من الرماة أمر عليهم عبد الله بن جبير وقال للرماة : احموا ظهورنا فإن رأيتمونا غنمنا فلا تشتركوا معنا وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا .

وأثناء ترتيب رسول الله ﷺ لصفوف الجيش قال من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه رجال فلم يعطه لهم حتى قام إليه أبو دجانه وقال ما حقه يا رسول الله قال أن تقتل به العدو حتى ينحنى فقال : أنا أخذه بحقه يا رسول الله فأعطاه الرسول إياه وكان أبو دجانه فارسا شجاعا وكان له عصابة حمراء إذا اعتصب بها كان هذا علامة على أنه سيقاتل وحينما أخذ السيف من رسول الله ﷺ أخرج عصابته الحمراء واعتصب بها وأخذ يتبختر بين الصفين .

كان حمزة فى مقدمة صفوف المسلمين وفى القلب من الجيش وهو مكان القيادة وكان يتجول بين الصفوف يطمئن على أوضاع القتال فهو الفارس الشجاع الخبير بالحروب .

قام أبو سفيان بن حرب بتنظيم جيشه فجعل على الميمنة خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل وعلى الخيل صفوان بن أميه وعمرو بن العاص ودفع اللواء إلى طلحه بن أبى طلحه .

كانت نساء قريش تحرضن المشركين على القتال وتضربن الدفوف والطبول وتذكرن المشركين بقتلى بدر وذلك حتى تبعثن الحمية فى صدور المشركين .

كانت هند بنت عتبة تبحث عن وحشى بن حرب دائما كى تذكره بالاتفاق الذى تم بينها وبينه وكلما رأته قالت له : يا أبا دسمه وكانت هذه كنية وحشى بن حرب اشف واستشف .

ولم يكن هذا الوحشى فى حاجة إلى من يذكره بما جاء مع الناس من أجله فالمقابل الذى سيحصل عليه كبير لو قتل حمزة فأول ما سيحصل عليه هو حريته طبقا لما اتفق عليه مع سيده جبير بن مطعم بن عدى وسيحصل من

هند بنت عتبة على الأموال ويضاف إلى هذا، الوعود التى تلقاها من سادة قريش أن يجزلوا له العطاء لو قتل حمزة ابن عبد المطلب أو على بن أبى طالب ولعل تركيز وحشى على قتل حمزة كان يرجع إلى رغبته فى التحرر من العبودية فقد قال له سيده جبير بن مطعم بن عدى لو قتلت حمزة بن عبد المطلب عم محمد كما قتل عمى طعيمه ابن مطعم بن عدى فى بدر فأنت حر .

خرج أبو عامر الفاسق من صفوف المشركين ومعه خمسين من قومه ونادى : أنا أبو عامر فقال المسلمون : لا مرحبا بك ولا أهلا يا فاسق وحدث تراشق بين أبى عامر الفاسق ومن معه وبين المسلمين بالحجارة ففر أبو عامر ومن معه ثم اندلعت نار الحرب وكانت معركة رهيبة .

بدء القتال

طلب طلحة بن أبى طلحة حامل لواء المشركين المبارزة فخرج له على بن أبى طالب فالتقيا بين الصفين فضربه على بن أبى طالب على رأسه فهوى قتيلا وكبر المسلمون .

ثم خرج من بين صفوف المشركين عثمان بن أبى طلحة فحمل لواء المشركين فتقدم له حمزة بن عبد المطلب وحمل عليه وضربه بالسيف على كتفه فقطع كتفه بيده فهوى عثمان بن أبى طلحه على الأرض يصارع الموت وانتقلت راية المشركين إلى أبى سعد بن أبى طلحه فقتله سعد بن أبى وقاص ثم حمل لواء المشركين مسافع بن طلحه ابن أبى طلحه فقتله عاصم بن ثابت ثم أخذ لواء المشركين ينتقل من واحد إلى أخر وكل من يحمله كان مصيره القتل .

لما قتل حملة اللواء من قريش دب الذعر بين صفوفهم واختلط حابلهم بنابلهم وبدأوا يفرون من أرض المعركة هروبا من الموت .

كان حمزة بن عبد المطلب يبحث عن سادة قريش وكبرائها فى ميدان القتال فبعد أن قتل عثمان بن أبى طلحه قاتل أرطأة بن عبد شرحبيل بن هاشم وهو أحد حملة لواء قريش حتى قتله حمزة ثم وجد سباع بن عبد العزى الغبشانى فقال له حمزة : تقدم إلى يا بن مقطعة البظور وكانت أمه تعمل ختانه بمكة فتقدم إلى حمزة فقاتله حتى قتله حمزة ثم مضى حمزة يبحث عن غيرة كى يقاتله . وكان أبو دجانه يصول ويجول بين صفوف المشركين وقتل كل من لقيه من المشركين حتى لقى فارسا فوضع السيف فى مفرق رأسه وكاد يقتله فإذا بها إمرأة تولول فإذا هى هند بنت عتبة فرفع السيف ولم يقتلها إكراما لسيف رسول الله ﷺ بألا تقتل به إمرأة حتى ولو كانت هند بنت عتبة التى رأت قومها يهربون من القتال فاشتركت هى فى القتال ولم تكن من عادات العرب اشتراك النساء فى القتال ولعل ما دفعها إلى هذا هو الحقد الذى وصل بها إلى حد العمى وكاد يودى بحياتها .

كانت المعركة تسير لصالح المسلمين فقد أمعن المسلمون القتل فى جيش قريش حتى بدأوا فى الهروب من المعركة وتركوا خيامهم ونساءهم وتابعهم المسلمون

يطاردونهم ويعملون سيوفهم فى رقابهم وكف المسلمون عن مطاردة الهاربين من المشركين وبدأوا فى جمع الغنائم ورأى الرماة الذين عينهم رسول الله ﷺ على الجبل لحماية ظهر جيش المسلمين أن المشركين قد انهزموا فقالوا : لم يعد لبقائنا على الجبل فائدة وتركوا أماكنهم ونزلوا من على الجبل ليشتركوا فى جمع الغنائم التى خلفها المشركون إلا أن أميرهم عبد الله بن جبير نهاهم عن ترك أماكنهم لأن رسول الله ﷺ أمرهم بعدم ترك أماكنهم فلم يطعه إلا عشرة منهم وبقوا معه على الجبل .

وبدأ الفارون من قريش يتجمعون وينظرون فى حسرة إلى قتلاهم وإلى أموالهم التى أصبحت غنيمة للمسلمين ورأوا انشغال المسلمين بجمع الغنائم كما رأوا أن الرماة تركوا أماكنهم على الجبل فتجمعوا وقادهم خالد ابن الوليد وهاجموا المسلمين من خلفهم من المكان الذى كان يتمركز فيه الرماة فقتلوا من تبقى من الرماة على الجبل ونادى مناد أن محمدا قد قتل فاختلطت صفوف المسلمين وأصبحوا يقاتلون بعضهم بعضا من الدهشة فكيف جاءهم عدوهم من خلفهم ؟ وإذا كان رسول الله ﷺ قد قتل فلماذا يقاتلون ؟ وأصبح هم كل واحد منهم أن ينجو بحياته فتفرق

المسلمون فى الجبل واستطاع المشركون أن ينالوا من سبعين منهم وكانت غزوة أحد بحق غزوة الأبطال الشهداء وقد برز رجال ينادون بأن يقاتل الناس على ما كان يقاتل عليه رسول الله ﷺ فقال أنس بن النضر وقد رأى المسلمون يتراجعون فى الجبل قاتلوا على ما كان يقاتل عليه رسول الله واندفع يقاتل المشركين حتى لقى الشهادة وتبعه فيما فعل عبد الله بن عمرو بن حرام فكانت غزوة أحد هى الغزوة التى جعلها الله ليتخذ من هذه الأمة شهداء تكون لهم مكانة لا تدانيها مكانة ورأى كعب بن مالك رسول الله ﷺ فقال : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ فتجمع حوله المسلمون مرة ثانية فلما رأت قريش أن المسلمين تجمعوا خافت أن تخسر ما حصلت عليه من كسب إذا استمرت فى القتال وقد رأوا فى بداية القتال ما ألم بهم من هزيمة فأثرت قريش أن تنصرف من أرض القتال ونادى أبو سفيان أفى القوم محمد ؟ ثلاث مرات فلم يجبه أحد لأن رسول الله نهاهم عن أن يجيبوه ثم قال أفى القوم بن أبى قحافة ؟ أفى القوم بن الخطاب ؟ ولم يرد عليه أحد . فقال أبو سفيان لقومه أما هؤلاء فقد قتلوا فإنكم حققتم نصرا مبينا فلم يتمالك عمر بن الخطاب نفسه ورد عليه : كذبت يا عدو

الله إن الذين عددت أحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر والحرب سجال ثم إنكم ستجدون فى قتلاكم تمثيلا لم أمر به ولم يسؤن .

لم يكن ما حدث فى أحد هزيمة للمسلمين كما يردد البعض بقدر ما كان درسا للمسلمين فى التزام طاعة رسول الله ﷺ وكان ما حدث فى أحد هو تمحيص من الله لمن اتبع رسوله وليبين الله لرسوله من دخل دين الإسلام نفاقا ورياءا وكانت إرادة الله تعالى أن يرفع أناسا من هذه الأمة إلى أعلى مكانة فاتخذ شهداء من هذه الأمة . لقد نال الشهادة فى أحد مصعب بن عمير وأنس بن النضر عم انس ابن مالك وعبد الله بن عمرو بن حرام وحمزة ابن عبد المطلب وغيرهم فكانت دماؤهم الطاهرة الذكية خير ما قدمه بشر على ظهر الأرض لإعلاء كلمة الله فأعطاهم الله عطاءً لا حدود له وكفاهم أن حياتهم لا تنتهى فإنهم انتقلوا من الدنيا إلى الجنة وبقوا فيها أحياء يرزقون وسوف نتعرض لمكانة الشهيد فى مكانها إن شاء الله تعالى.

استشهاد حمزة

خرج وحشى بن حرب مع جيش المشركين لا يبغى سوى قتل حمزة بن عبد المطلب. وكان قتل حمزة يعنى حصول وحشى على الحرية ولنترك وحشي قاتل حمزة يحكى بنفسه كيف قتله ؟ يقول : خرجت مع الناس وكنت رجلا حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة قلما أخطئ بها شيئا فلما التقى الناس خرجت انظر حمزة وأتبصره حتى رأيته فى عرض الناس مثل الجمل الأورق والجمل الأورق هو الجمل الذى عليه غبار وكان يهد الناس بسيفه هدا ما يقوم له شئ وإنى أتهيأ له أريده واستتر منه بحجر ليدنو منى إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى فلما راة حمزة قال له : هلم إلى يا بن مقطعة البظور فضربه حمزة ضربه كان ما أخطأ رأسه وهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنيته حتى خرجت من بين رجليه وذهب لينوء نحوى فغلب وتركته وإياها حتى مات ثم أتيته فأخذت حربتى ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه ولم يكن لى بغيره حاجة وإنما قتلته لأعتق فلما قدمت مكة أعتقت ثم

فتح رسول الله مكة فهربت إلى الطائف فلما خرج وفد الطائف ليسلموا لرسول الله قلت ألحق بالشام أو اليمن فوالله إن لفى ذلك من همى إذ قال لى رجل : ويحك إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل فى دينه فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة فلم يرعه إلا بى قائما على رأسه أتشهد بشهادة الحق " لا إله إلا الله محمد رسول الله " فلما رأني قال : أوحشي ؟ قلت : نعم يا رسول الله قال: أقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة . فحدثته فلما فرغت من حديثى قال : ويحك غيب عنى وجهك فلا أرينك فكنت أتنكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يرانى حتى قبضه الله .

هذا ما حكاه وحشى بن حرب عن كيفية قتله لحمزة ويا لها من خسة وخيانة اشتركت فيها قريش مع العبد وحشى لتقتل حمزة بن عبد المطلب لقد جاء هذا العبد لينفذ اتفاقا أبرمه مع جبير بن مطعم بن عدى ومع هند بنت عتبة وهو أن يتربص لحمزة حتى تتاح له فرصة لقتله وقد تربص العبد واختبأ خلف صخرة حتى كانت اللحظة التى يقاتل فيها حمزة أحد حملة لواء المشركين ومن مخبئة أطلق وحشى حربته الغادرة لتدخل فى بطن حمزة وتخرج من ظهره وقد نظر البطل إلى الاتجاه الذى جاءت منه حربه

الغدر فاتجه نحو العبد يريد أن يصل إليه ولكن الجنة كانت قد فتحت أبوابها للشهيد حمزة بن عبد المطلب وأراد الله تعالى له مكانة الشهداء فوقع على الأرض وأخر ما وقعت عليه عيناه هو هذا العبد الخائن الغادر ولينتقل من الدنيا التى لا تساوى أى شئ إلى ملكوت الله الواسع إلى حيث تسكن روحه فى الجنة فى جوف طير خضر تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش. لقد كانت خطة قتل حمزة بن عبد المطلب التى وضعتها قريش من الخطط الغريبة على العرب فى أيام الجاهلية فالعربى يتباهى دائمًا بأنه فارس وأنه يبرز للقتال وربما ألقى أبياتا من الشعر قبل أن يبدأ القتال يبين فيها إقدامه وشجاعته وحسبه ونسبه هذا لم يكن فى الحسبان عند مكة فى مواجهة حمزة بن عبد المطلب فمكة تريد قتله بأى طريقة لأنه لا يوجد فى مكة أو العرب من لا يعرف شجاعة حمزة ويعرف أن مواجهته حتما ستنتهى إلى أن يطيح حمزة برأس من يواجهه .

لم يكن أمام مكة إلا خيار الخيانة الذى نفذه العبد الحبشى .

لقد انكسر جيش المشركين فى أحد فى بداية الأمر حينما كان حمزة وبقية الفرسان من الصحابة يواجهونهم وجها لوجه وقد هرب المشركون من سيوف المسلمين وكان خالد بن الوليد قائد ميمنة المشركين وفارسهم من الفارين تركوا خلفهم كل شئ حتى نساءهم تركوها ولم يتمكن المشركون من المسلمين إلا حينما هاجموهم من خلفهم وانتهز خالد بن الوليد نزول الرماة من على الجبل وهاجم المسلمين من ظهورهم فلم يكن ليجرؤ على المواجهة فقد جربها فى بداية الحرب وقتل فى المواجهة حملة لواء المشركين وساداتهم فلم تكن هناك وسيلة أمام قريش للنيل من المسلمين إلا عن طريق الخيانة وقد ظهرت فى أمرين أولهما أن ابن قميئة أشاع أنه قتل رسول الله ﷺ فتفرق المسلمون واختلطت صفوفهم وحاربوا بعضهم البعض وبدأوا فى الانسحاب إلى أعالي جبل أحد والخروج من أرض المعركة وثانيهما أن خالد بن الوليد قائد ميمنة المشركين هاجم المسلمين من الخلف.

ولما كان ما حدث فى أحد بالنسبة للمشركين هو من قبيل الحلم فإنهم اكتفوا بمن قتلوا أثناء اختلاط الحابل بالنابل فى صفوف المسلمين وحينما تجمع المسلمون ثانية بعد علمهم أن رسول الله ﷺ لم يقتل لم تقاتلهم قريش وانسحبت وقالت قتلنا منهم وخشيت قريش أن تدخل فى قتال جديد قد تفقد فيه ما حصلت عليه من كسب .

التمثيل بجثة حمزة

راحت هند بنت عتبة والنسوة اللاتى معها من قريش يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يقطعن الأذان والأنف حتى اتخذت هند من أذان الرجال وأنفهم خلخالا وقلائدا وأعطت خلخالها وقلائدها وقرطها إلى وحشي وحينما وصلت هند بنت عتبة إلى حمزة لم يكفها قطع أنفه وأذنه فقامت بشق بطنه واستخرجت كبده ومضغتها ولكنها لم تستطع أن تبتلعها فالقتها على الأرض وأخذت هند تقول الشعر فى وحشى فقالت :

نحن جزيناكم بيوم بـــــدر

والحرب بعد الحرب زات سعر

وما كان عن عتبة لى من صبر

ولا أخـــى وعمه وبكـــــرى

شفيت نفسى وقضيت نـــذرى

شفيت وحشى غليل صـــدرى

فشكر وحشى على عمـــــرى

حتى ترم أعظمى فى قبـرى

وتظهر هذه الأبيات من الشعر التى قالتها بنت عتبة مدى كراهيتها لحمزة .

فتذكر أن حمزة قتل عمها وقتل ابنها وقتل أخاها وتتذكر أيضا قتل أبيها وتذكر كل ما ألم بهؤلاء من أهلها يوم بدر وتذكر أيضا أن نيران صدرها قد انطفأت وأن الذى أطفأها هو العبد وحشى وأنها مدينة لوحشى وعليها أن تشكره طوال عمرها بل وعليها أن تشكره حتى وهى فى قبرها حتى تبلى وتتفتت عظامها . لم يقتصر التمثيل بجثة حمزة على هند بنت عتبة ونساء قريش اللائى كن معها بل أن أبا سفيان بن حرب أمسك برمحه وأخذ يدخله فى فم حمزة حتى رأه الحليس بن زبان وكان مشركا فنادى الحليس : يا بنى كنانة هذا سيد قريش يصنع بجسد ابن عمه ما ترون فقال له أبو سفيان : اكتمها عنى فإنها كانت زلة .

أخذ رسول الله ﷺ يتفقد القتلى من أصحابه وبحث عن حمزة فوجده ببطن الوادى وقد بقر بطنه واستخرج كبده وجدع أنفه وأذناه فقال رسول الله ﷺ : لن أصاب بمثلك أبدا وما وقفت موقفا قط أغيظ من هذا .

لولا أن تحزن صفيه بنت عبد المطلب ويكون سنه من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل

الطير ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ الممزوج بالغضب على ما حدث لعمه حمزة بن عبد المطلب توعدوا قريشا وقالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب .

وتتدخل السماء لتعيد الهدوء والسكينة إلى رسول الله ﷺ وتذكره بأنه رحمة السماء إلى الأرض ولم يبعث للثأر وإنما أرسله ربه رحمة للعالمين .

فيقول رسول الله ﷺ : جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السماوات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله .